مساحة خضراء

عن المجلدين .. المجموعات الشعرية الميلاد والموت .. البردوني

فؤاد عبدالقادر

■ أحسن صنعا بإخراجهما تنفيذاً وتمويلاً وطباعة الأديب المثقف الشاعر خالد الرويشان عندما كان رئيساً للهيئة العامة للكتاب ولو لم يكن له إلا هذا الإنجاز لقلنا يكفيه ويزيد ويفيض ..مجلدان شعريان ضما في دفتيهما كل أعمال وإبداع الشاعر الكبير عبدالله البردوني.

في المجلد الأول ضم ستة دواوين شعرية.. هي من أرض بلقيس،في طريق الفجر..مدينة الغد..لعيني أم بلقيس..السفر إلى الأيام الخضر..وجوه دخانية في مرايا الليل.

حوى المجلد الأول قطعا أدبية..هي عبارة عن مقدمة شاملة عن البردوني الشاعر والأديب، والمثقف الموسوعة..والإنسان أبدعها شاعر اليمن الكبير ومثقفها الأكاديمي عبد العزيز المقالح..أيضا كان لخالد الرويشان الأديب والكاتب الفنان اطلالة رائعة عن الشاعر المبدع المرحوم عبدالله البردوني، أما ثالثهم فكانت الإضافة.. لتلميذ البردوني الشاعر الرائع الحارث بن الفضل الشميري الذي قدم البردوني على ما عرفه وبلسانه معلومات كاملة وموثقة.

المجلدان..الاول والثاني..هدية لكل باحث ودارس للشعر وللشاعر الفذ..معلومات دقيقة عن الشاعر وميلاده، نشأته وموته وإبداعه.

من بينهم ثلاثة مبدعين من اليمن:

إعلان الفائزين بجوائز «دبي الثقافية للإبداع»

● دبي . أعلنت مجلة «دبي الثقافية» أمس الاول نتائج لجان تحكيم جائزة «دبي الثقافية للإبداع» في دورتها السابعة ٢٠١٠/٢٠١١، في فروع شخصية العام الثقافية الإماراتية والشعر والقصة القصيرة والرواية والفنون التشكيلية والحوار مع الغرب والتأليف المسرحي والأفلام التسجيلية.

فقد منحت جائزة شخصية العام الثقافية الإماراتية لمهرجان الفجيرة الدولي للمونودراما، وذلك تقديرا لعطائه وجهوده الواضحة في ترسيخ حضور المسرح المونودرامي (مسرح الممثل الواحد) في الحياة المسرحية العربية عامة والإماراتية خاصة، كذلك لدوره المميز في خلق ظروف وشروط تطور هذا الفن المسرحي الصعب والراقي ودعم الكوادر الشابة والموهوبة من خلال إقامة عروض مسرحية بديعة بمشاركة دول عربية وأجنبية كثيرة إضافة إلى ندوات تطبيقية وحوارية تثقيفية تقام على هامش المهرجان.

وفي مجال الشعر جاءت النتائج على النحو التالي: الجائزة الأولى محمد علي عفيف الخضور من سوريا عن مجموعته «مفاتيح لزنزانة الروح»، الثانية علي حسين علي الزهيري من الأردن عن مجموعته «سردية الغرباء»، الثالثة محسن اخريف من المغرب عن مجموعته «لولا»، الرابعة المكي بن علي الهمامي من تونس عن مجموعته «هذا ملكوتي»، الخامسة هشام محمود عبدالعظيم سيد من مصر عن مجموعته «جمرة الإيقاع».

وفي باب القصة القصيرة كانت النتائج كما يلي: الجائزة الأولى لشريف صالح عبده من مصر عن مجموعته « بيضة على الشاطئ»، الثانية لمحمد أحمد العجيل من سوريا عن مجموعته «سلطة الرماد»، الثالثة لنهلة عبد العزيز مبارك من الأردن عن مجموعتها «الوجه الآخر للحلم»، الرابعة لميسون عبد الرحيم خليل حمودة من فلسطين عن مجموعتها «أحلام بعيدة»، والخامسة لأمير عوض ابراهيم من السودان عن مجموعته «قطرات قلم».

وفي حقل الراوية جاءت النتائج كالتالي: الأولى نهى محمود على حسن من مصر عن روايتها «هلاوس»، الثانية سناء كامل احمد شعلان من الأردن عن روايتها «اعشقني»، الثالثة وليد احمد ناجي دماج من اليمن عن روايته «ظل الجفر»، الرابعة رشا فاضل من العراق عن روايتها «على شفا جسد»، والخامسة يوسف ابراهيم من ليبيا عن روايته «الغرقى».

وجاءت نتائج الفنون التشكيلية كما يلي: الجائزة الأولى محمد علي الطراوي من مصر، الثانية عامر محمد الصفار من الإمارات، الثالثة سعيدات ابو القاسم من الجزائر، الرابعة ياسر عبده العنسي من اليمن، والخامسة عبد المجيد محمد فياض من سوريا.

وتوزعت جوائز الحوار مع الغرب كما يلي: الجائزة الأولى حمود زايد حمود نوفل من اليمن عن بحثه «مآذن وأبراج»، الثانية السيد العيسوي عبد العزيز من مصر عن بحثه « النظام العربي الجديد- رؤية استشرافية»، الثالثة تهاني ثنيان العايش الشمري من السعودية عن بحثها « لسنا فاكهتهم المفضلة ، فهل تغريهم شجرتنا؟»، الرابعة محمد اسماعيل اللباني من مصر عن بحثه « سقوط أقنعة الهيمنة وحوار الثقافات»، والخامسة صفية احمد الزايد من سوريا عن بحثها «الرهان من أجل المستقبل والسلام».

وفي مجال التأليف المسرحي كانت النتائج كالتالي: الجائزة الأولى هبة فاروق محمد سلامه من مصر عن نصها « رسل الموت»، الثانية عمار نعمة جابر عزيز من العراق عن نصه « ما كان وما دار.. بين من ملك.. وما طار»، الثالثة عبد الخالق سيف محمد من اليمن عن نصه «ملامح شظايا»، الجائزة الرابعة طارق عبد الرحمن شما من سوريا عن نصه «البيان رقم واحد»، الخامسة عبد الكريم وحمان من المغرب عن نصه «ابحار نحو العاصفة».

أما في مجال الأفلام التسجيلية فكانت النتائج التالية: الجائزة الأولى حازم حسين الحموي من سوريا عن فيلمه «أنين»، الثانية رشيد اهلال من المغرب عن فيلمه «عرق القصابة»، الثالثة ايمن نوفل حماده من سوريا عن فيلمه «بيت الشعر». تم حجب الجائزتين الرابعة والخامسة.

أما لجان التحكيم فتشكلت من كل من: أحمد عبد المعطي حجازي من مصر، يوسف أبو لوز من فلسطين، نبيل سليمان من سوريا، الدكتور صالح هويدي من العراق، الدكتور حاتم الصكر من العراق، عزت عمر من سوريا، عبد الفتاح صبري من مصر، الدكتور عمر عبد العزيز من اليمن، اسماعيل عبدالله من الإمارات، ونواف الجناحي من الإمارات.

البردوني واليمن.. وطن يؤلّفه الكلام (2-1)

يقول غوته في «الديوان الشرقي» «من يود فهم شاعر ، فليذهب إلى بلاد الشاعر.» ولكن كيف يمكننا فهم شاعر، إذا كان هذا الشاعر متوحداً مع بلاده، لاتراه إلاّ منغرساً في طين الأرض متشحاً برائحة حقولها وأوديتها، بل إنك لاترى اليمن إلاّ ووجه الشاعر عبدالله البردوني حاضر أمام عينيك، كأن مرآة اليمن لاتحمل سوى وجه البردوني. كيف نفصل بين الشاعر وبلاده، كيف نفك هذا التوحد والاتصال عند شاعر استثنى مثل هذا الفصل حين، جعل عنوان إحدى قصائده: «إلا أنا وبلادي».

هل يمكن أن نخترق هذه الوحدة، وأن نبحث عن الشاعر، الصانع، الكاتب، المؤلف لهذا الوطن، شعراً وكتابة وحلما. الشاعر ينشئ الوجود أو يكتبه إنشاداً، أو أنه يصغي لأصوات الطبيعة ويعيد ترديدها شعراً. أهو الإيحاء الشعري، أم أصوات الجن في وادي عبقر، أم أنها غواية الشعر وسحره، توقظ في النفس حنينا لعنف البدايات والإبداع والتأسيس حينها تختلط الدهشة بالكلام، فيسيل الشعر مثل الماء . الشعر تأسيس للوجود بالكلمات الدهشة والتأسيس هما ما يجمع الشعر والفلسفة. لهذا طرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته؟

هشام علي بن علي

قد يبدو هذا التقديم مفرقاً في البعد عن الموضوع فنحن لا نبحث في قضايا الشعر المطلق، وعلاقات الشعر بالوجود أو الفلسفة أو الكينونة والتاريخ. ولكن تعمدت،اختيار هذا المدخل للولوج إلى العالم الشعري للبردوني، أو لتحقيق مقارنة عامة للبردوني تحرر القراءة، من حصار النقد الذي فرض حدوداً ضيقة لفضائه الشعري، أصبحت يوماً إثر آخر، قيداً يعيقنا عن تحقيق قراءة ديناميكية متحررة من عصا الأعمى، الذي تحول من أفق رحب محتمل إلى كومة ضيقة ضئيلة مضيئة في وسط الظلام، لقد حاصرنا البردوني بقيود الطبيعة، ثم اضفنا قيداً إلى قيد، العمى الأيديولوجي أو العشى السياسي الذي لا يملك سوى رؤية أحادية البعد، حرمتنا من لذة القراءة الشاملة لشعر البردوني، القراءة المتحررة من العمى البصري والعمى الايديولوجي أو السياسي..لقد ضاق البردوني بهذا الحصار المفروض عليه، لم يضق بالعمى الذي قدر له، بل ضاق بمحاصرته والنظر المحدود له كشاعر: أعمى، حتى أنه كان يرفض مقارنته بشعراء عظماء مثل أبي العلاء المعري، يرفض أن يكون العمى اساساً للمقارنة. فالشعر أو الإبداع بشكل عام هو اقتحام المجهول بالرؤيا والتجلي، لا بالرؤية، والإبصار. يولد الشعر في لحظة لقاء تحجب الوجود وانكشافه، في لحظة إشراق وتوهج.

كان البردوني متصالحاً مع العمى، لم يكن يعاني منه، اعتاد عليه وتعود على العيش يحس بوجود الأشياء ولا يراها لقد سئل ذات يوم: أيهما تختار البصر أم الشعر؟

سؤال غريب بدون شك، فالبردوني لم يكن مخيراً بين الأمرين لقد اقتحم الشعر حياته كقدر لا يرد، مثلما كان العمى مصيبة داهمته في الصغر، حتى أنه كان يسمع أباه يجمع دائماً بين مصيبتين، عمى ابنه عبدالله ومرض الجمل الوحيد الذي كان يملكه واضطر الى نحره! ورغم هذه الذكرى المؤلمة، لم يصبح العمى عقدة أو جداراً يصده عن مساره. بل على العكس، لم يعد البردوني يقبل أن يقايض الشعر بالبصر، رغم إيمانه بنعمة البصر.

– أنا لا أفضل شعري على رؤية البصر، ولكنني قد ألفت العمى، حتى أصبحت أخاف الإبصار، ولا أظن أنني أعاني العمى لأنني أحس التعويض (بالشعر) هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الحواس ليست قيماً بشرية، فالفأر أقوى حاسة شم من الإنسان، والغراب احد بصراً من الإنسان، لأن الحواس والغرائز مشتركة (بين الإنسان والحيوان) كما أن العاهات مشتركة بين الناس والحيوانات، وربما نتذكر أن عبقرية الرؤية جعلت مني فيلسوفاً، كما أن عاهة الصمم جعلت من بتهوفن فناً موسيقياً عظيماً، كما أن عاهة العمى هي التي أنبتت في المعري مئات العيون الداخلية، لأن السماع بالأذان تقليدي، والرؤية بالعيون الجارحة اعتيادي، أما الرؤية بمواطن القلب، ومواهب العقل فهو اجتياز للموروث والمعتاد، فهذا العمى قد أصبح صديقاً، وجعل من الشعر اكثر التصاقاً بنفسي).١(

والعمى لم يمنح البردوني الحكمة وحدها، لقد أعطاه القدرة على الصبر والتآلف واعتياد الأشياء فمثلما العمى وألفه اصبحت لديه القدرة على التآلق مع كثير من الأمور التي يعجز كثير من الناس على اعتيادها. ففي قصيدة «اعتيادات «نكتشف كيف اعتاد الحب واعتاد النسيان.

لم أكن (شهريار) لكن تمادت
عشرة صورتك لي (شهرزادا)
كان حبي لك اعتياداً وإلفا
وسآنساك إلفة واعتيادا

ليس في هذا الاعتياد أي نقصان في درجات الحب، بل إن الحب يكون في منتهى درجاته حين يغدو إلفة واعتيادا. وكذا يكون النسيان اختياراً صعباً وقاسياً، لكن الإرادة القوية تجعله أمراً مألوفا.

وهنا ندرك عمق الرفض عند الشاعر عبدالله البردوني فهو لا يرفض لمجرد الرفض، بل إن الرفض يكون خياراً أخيراً بعد أن تنقطع جميع أسباب التآلف والتصالح. وربما نكتشف أهمية هذه الصفة حين نقرأ قصائده السياسية والاجتماعية.

بل إن هذا الرفض المحمول على جناح الصبر والتأني والتآلف، كان يجعل البردوني في ضيق من التأويل الأيديولوجي والسياسي المتعجل لقصائده، حيث أخذوا يحملونها معاني وإشارات لا تحتملها. وميزة الرفض في شعر البردوني الوضوح والمباشرة فالقصيدة السياسية عنده رسالة واضحة، ولعل هذا ما كان يأخذه عليه كثير من النقاد. إلا أن البردوني لم يكن يبني عالماً شعرياً بالكلمات، بل كان يؤلف وطناً، أراده شعرياً جميلاً، وشاءت قوى الطغيان والهيمنة والصراع وميراث العصور أن يكون قاسياً، منشوراً مشطرا مع ذلك، كان البردوني مسكوناً بالأمل كان يصغي دائما، رغم الفوضى العارمة والخراب المدمر لطرقات الأمل الذي يقرع باب اليمن!

وطن يؤلفه الكلام!

ربما يكون ثمة وهج عبقري أو أنها لحظة إشراق وتجل، كانت كامنة في مخيلة ذلك الفنان الشاب الذي عبَّر في لوحة واحدة، عن تلك الصورة المرآوية التي وحدت اليمن وشاعرها، أصبح وجهه وجه اليمن، وأصبحت صورتها هي صورة الشاعر. فقد رسم في لحظة تداخل مرآوي مدينة صنعاء يفصلها بابها السحري الشهير، باب اليمن، ووجه البردوني الذي يظهر واقفاً خارج الباب، كأنه يحرس وجود المدينة. أو كأنه الوجه الآخر للمدينة داخل المرآة.

قد تكون هذه اللوحة التشكيلية، قراءة بصرية عميقة لشعر البردوني. فصنعاء تتشكل في قصائده واليمن تولد في كل كلمة من كلمات شعره ليس سوى الشعر ما يهب للوطن هذا ما يصرح به البردوني في قصيدة قصيرة بعنوان «لعينيك يا موطني.«

لأني رضيع بيان وصرف
أجوع لحرف، وأقتات حرف
لأني ولدت بباب النحاة
أظل أواصل هرفاً بهرف
أنوء بوجه، كأخبار كان
بجنبين من حرف جر وظرف
■■■
أعندي لعينيك يا موطني
سوى الحرف أعطيه سكباً وغرف
أتسألني: كيف اعطيك شعراً
وأنت تؤمّل دوراً وجرف
افصل لليأس وجهاً بهيجاً
وللميم جيداً، وللنون ظرف
أصوغ قوامك من كل حسن
وأكسوك ضوءاً ولوناً وعرف

يفتتح الشاعر علاقة جديدة بالوطن، أو لنقل إن شعره يصير لحمة هذا الوطن وسداه.. إن التأليف الشعري لا يقتصر على الوصف والتعبير، انه ينشئ إنشاداً؟ ليس كلاماً بل وجهاً وجيداً وجسداً، ثم يكسو هذا الجسد ويضمخه بالعطر والضوء. الكلام يؤلف الوطن ينشئ الشاعر علاقة بين الكلمات والأشياء. في حوار الفرجياس.. يضع افلاطون الكلام مقابل العنف، الفيلسوف مقابل الطاغية هذا هو الشاعر عبدالله البردوني الواقف في وجه حكم الأئمة والحادي لمسار الثورة والتغيير والحرية. إنّ زمن الحرية لا يأتي بزمن معين. الحرية فضاء مفتوح، قلم التاريخ وتؤسسه بل تعيد تشكيله في كل أوأن والبردوني الذي يعيد تكوين الوطن كان يعلم علم اليقين أن الرهان الأساس هو رهان الحرية لكي نعيد بناء الوطن والحفاظ على ثورية الثورة، ينبغي أن نكون احراراً هذا هو الصبح المبين، وهذه هي البشارة:

أفقنا على فجر يوم صبي
فيا ضحوات المنى: اطربي
أتدرين يا شمس ماذا جرى؟
سلبنا الدجى فجرنا المختبي

لكن هذا الفجر الذي انتزعناه من فم الدجى ليس نهاية الطريق، انه البداية. وقد بقى البردوني يرقب هذا المولود بعين ناقدة حريصة وتتكرر وقفاته مع الثورة، لا احياءً للمناسبة، بل تأصيلاً لجذوة نار الثورة، واستمرارها. ففي قصيدة تقرير الى عام٧١ م «حيث كنا «يكتشف البردوني أن ذلك الفجر ما يزال صبياً، وأن تسعة أعوام من عمر الثورة مرت مثل عام.

غير أنا وبعد تسع طوال
حيث كنا كأنما مر عام

في هذه القصيدة يبين البردوني أن القوى المضادة للثورة، في الداخل والخارج، كانت أقوى من عزائم الثوار، أو أن هؤلاء الذين قاموا بالثورة «قعدوا قبل أن يروا كيف قاموا «لقد اشرنا سابقاً إلى أن الشاعر يدرك أن الحرية ليس لها حدود، ومشكلة ثوار سبتمبر أنهم وقفوا عند حدود إسقاط الحكم الإمامي.

ليس فعل الثورة وحده ما يؤلف الوطن لقد قلنا إن هذا الوطن يؤلفه الشاعر، يعيد تكوينه حرفاً فحرف. وهنا الكلام لا يعكس الواقع وحسب، بل يعيد تشكيل الوطن، يتقمص محنة الشعب، يحكي للعالم مأساته. ولا يبدو الشاعر واقفاً خارج باب اليمن، يصف ما يجري من بعيد، إنه منغرس في رحم الأرض، متوحد معها.

نحن هذي الأرض.. فيها نلتظي
وهي فينا عنفوان واقتتال
من روابي لحمنا هذي الربى
من رُبى أعظمنا هذي الجبال

ولا يكتفي الشاعر بهذا التوحد الجسدي بالأرض، انه يستعيد تجربة التكوين والتغيير والثورة، يفقأ عينيه لكي يرى:

لكي يستهل الصبح من آخر السُرى
يحن الى الأسنى ويعمى لكي يرى

يبحث الشاعر عن اليمن، يحمل وطنه معه في الغربة، يعيش تجربة السفر دون وداع ودون شوق إلى الرجوع، ألم نقل ان الشاعر لا ينفصل عن وطنه، ليس ثمة مسافة فاصلة بين الأرض والجسد يرحل الشاعر ووطنه معاً:

حان أن يقلع الجناحان.. طرنا
حفنة من حصن على صدر قلعه
مقعدي كان وشوشات بلادي
وجه أرضي في أدمعي الف شمعه

ووصلنا.. قطرات مأساة أهلي
من دم القلب دمعة بعد دمعه

يرحل البردوني حاملاً حجارة البلاد ووشوشات الأهالي ودموعهم. جناحا الطائرة يحملان وطناً كاملاً اجتمع في ذات الشاعر:

صرت للموطن المقيم بعيداً
وطناً راحلاً، أفي الأمر بدعه؟!
احتسي موطني لظى، يحتسيني
من فم النار جرعة إثر جرعه
في هواه العظيم أفنى وأفنى
والعذاب الكبير أكبر متعه

كل شيء في شعر البردوني مغمور بواقعيته. الكلام هو الوجود والإنشاء. تأليف القصيدة وتأليف الوطن. هذا هو التكوين الشعري ليس ثمة استعارية ولا تشبيه كلمة الوطن هي الوطن ان لفظ «كأن «غير موجود في شعر البردوني فهو يسمي الأشياء، دون أن يراها لا لأنه أعمى ولكن لأن هذا هو الشعر دون لماذا؟ فالوردة تزهر لأنها تزهر هكذا قال هيدجر حسبنا أن ننطق بأشياء الواقع حتى نمسك بها. نعرفها ونتعرف عليها والكلمات ليست صوراً للأشياء، انها جسور للعبور والوصول تحس وجود الأشياء، وليس شرطاً أن تراها أو لنقل انها تراها برؤية القلب، لا رؤية البصر.

لا غرابة اذاً، ان يبحث صنعاني عن صنعاء. رغم هذه البنايات والأسواق والأصوات والبضائع، لا يجد الشاعر مدينته التي فارقها. لا يحس وجودها، لا يراها!

هذي العمارات العوالي ضيعن تجوالي.. مجالي
حولي كأضرحة مزورة بألوان اللآلي
يلمحنني بنواظر الإسمنت. من خلف التعالي
هذي العمارات الكبار الخرس ملأى كالخوالي
أدنو ولا يعرفنني أبكي ولا يسألن:
مالي وأقول من أين الطريق؟ وهن أغبى من سؤالي.

هناك شيء ضائع في المدينة لقد فقدت قلبها. أصبحت صنعاء مدينة بلا قلب. انها لا تعرف ابنها العائد ولا تهتم لبكائه. ضاع الحب من المدينة. غابت عنها العلاقات التي تؤلف بين الناس وتجمعهم. أحقاً أن المدينة القديمة لم تتغير، من حيث بيوتها وشوارعها وأسواقها. لكن الذي تغير هو قلب المدينة وجوهرها تغير الناس وتغيرت العادات والعلاقات الدافئة بينهم. لم يكن الشاعر يسأل عن اسماء الشوارع أو عن الطريق اليها، كان يسأل عن تلك الاشياء الخفية التي تحتجب وراء ظاهر العمران. عن هذا الصمت الذي يحسّه رغم ما يزدحم في الشوارع من فوضى، عن هذا الخلاء الذي يراه في البيوت رغم أنها ملأى. يطوف الشاعر في شوارع المدينة بقلب عاشق، يرى كثيرين ولا يرى أحداً!

هل هذه صنعاء.. ؟ مضت
صنعاء سوى كسر بوالي
خمس من السنوات أحبلت
وجهها الحر؟ الأزالي.؟
من أين يا اسمنت امشي؟
ضاعت الدنيا حيالي
بيت ابن اختي في (معمر)
في الفليحي بيت خالي
أين الطريق الى (معمر)؟ يا بناتي يا عيالي
وإلى (الفليحي) يا زحام.. ولا يعي أو يبالي
بالله يا أماه دليني ورقت لابتهالي
قالت الى (النهرين)،
قدّامي وامضي عن شمالي والى (القزالي)
ثم استهدي بصومعة قبالي
من يعرف (النهرين)!.. من أين الطريق الى (القزالي)
من ذا هناك؟ مسافر مثلي يعاني مثل حالي

حشد من العجلات يلهث في السباق وفي التوالي
وهناك (نصرانية) كحصان (مسعود الهلالي)
وهناك مرتزق بلا وجه.. على كتفيه (آلي)

لقد أنكر الشاعر مدينته، رغم معرفته لها بيتاً بيتاً. إنها ساكنة في الذاكرة لا تبرحها. أهو النسيان؟ لعل المشكلة أنه عاد ولم ينس شيئاً. كأنما التقط لها صورة وحفرها في الذاكرة، لم تكن صورة فوتوغرافية، إنها صورة بابعاد أربعة، البعد الرابع هو الحياة الاجتماعية المليئة بالألفة والحب، لقد كان الجميع عائلة واحدة، وحين عاد الى المدينة بعد أعوام، كان أهالي صنعاء قد خرجوا منها..ليس هذا وحسب، لقد جاء الغرباء، ودخلت معهم عادات جديدة وغريبة. هل كان البردوني يبحث عن صنعاء المخزونة في الذاكرة، في نوع من الحنين الى ذلك الماضي والتوق الى عودته. ليس هذا ما يقصده، إنه يبحث عن روح المدينة، يفتش عن علاقاتها المتمزقة، يعجب لوجود المرتزقة المسلحين في شوارعها، للأجانب الذين لا نعرفهم. لا يعبر الشاعر هنا عن رفض الآخر، لكنه يقلق من وجوده لكثرة ما ارتبط وجود الغرباء بالمؤامرات والدسائس.

اليوم (صنعاء) وهي متخمة الديار بلا أهالي
يحتلها السمسار، والغازي، ونصف الرأسمالي
والسائح المشبوه، والداعي وأصناف الجوالي
من ذا هنا؟ (صنعاء) مضت واحتلها كل انحلالي.

إن الشاعر يرفض هذه العلاقات الجديدة التي تتشكل في المدينة، مدينة مليئة بالبشر، لكن بلا أهالي هذه الكلمة أهالي تحيلنا الى الأهل، الى القرابات التي تتكون في المدينة، ليس قرابات عائلية بالضرورة، ولكنها قرابات تنشأ بالحب والتآلف والاجتماع. مدينة صنعاء في رأي البردوني ليس مكاناً يجتمع فيه مجموعة من الناس وهم مضطرون لذلك الاجتماع انها مدينة تأسست على عقد اجتماعي اساسه الحب والايلاف والطمأنينة. اذا غاب هذا العقد، تفقد المدينة ركنها المؤسس، تصبح مكاناً قاسياً، جدراناً صماء لا حياة فيها.. ومدينة مثل هذه ينبغي أن تثور على ساكنيها، وتنتفض على غزاتها:

أمي! أتلقين الغزاة بوجه مضياف مثالي؟
لم لا تعادين العداء..؟ من لا يعادي لا يوالي.

ورغم هذا لا يعود الشاعر من حيث أتى. فالبردوني مسكون بالألم وبالأمل.

من أين أرجع.. أو أمرُّ..؟ هنا سأبحث عن مجالي
ستجد أيام بلا منفى وتشمس يا نضالي!
وأحب فجر ما يهل عليك من أدجى الليالي.

ولكن كيف يمكن للشعر أن يؤلف الوطن، وسط هذا الركام الهائل من الذكريات. هل نتذكر الوطن أم نبنيه؟ هل يتجه الشاعر نحو الماضي أم نحو المستقبل؟

ان الماضي ليس بيت الشاعر الذي يحن اليه، ولا هو الجنة الضائعة التي يفتش عنها. لقد لاحظنا في قصيدة «صنعاني يبحث عن صنعاء «أن ذلك البحث هو بحث عن الهوية، الهوية الوطنية بكل امتلاكها التاريخي والحضاري ليست النوستالوجيا ما يحرك الشاعر، ولكن الاستمرار والتواصل، استمرار الهوية التي تجمع وتوحد وتعيد تكوين العلاقة بين الانسان والمكان، وتمنع تحول المدينة الى غابة من الأسمنت.

إعادة ترتيب الذاكرة ومقاومة النسيان والبحث عن زمن ضائع أو عالم ضائع، هذه أشكال متقاربة لإعادة التأليف والتكوين..وقد كان الحلم هو صبح الشاعر الذي يتداخل مع الذاكرة..حتى حين يفتح الشاعر كتاب التاريخ، يكون المستقبل هو الباعث والدافع لمراجعة التاريخ وقراءته.